

أهل البيت عليهم السلام فى شعر كشاجم حفيد (السندى بن شاهك)

سيد محمدرضى مصطفى نيا*

محمد عابدين بايگان**

الملخص

يعتبر كشاجم محمود بن الحسين، من الشعراء المعروفين فى العصر العباسى الثانى. كان طباحاً، ثم برز شاعراً وأديباً، عند أبى الهيثم الحمدانى فى حلب، وبعده ابنه؛ الأمير سيف الدولة الحمدانى. تنقل بين البلدان، وأعجب بمصر، وله عدة كتب، أهمها: ديوان شعره، حيث أجاد فيه الوصف والمدح. والشاعر حفيد السندى بن شاهك، قائد الحرس وصاحب السجن، والذي امتثل أمر الخليفة العباسى الرشيد بسجن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، والتشديد عليه، وقتله بالسم. إلا أن حفيده الشاعر عبّر فى شعره عن حبه لأهل البيت (عليه السلام)، ووالاهم ودافع عن حقهم، وحرّز لمصائبهم، مما دفع إلى دراسة هذا الجانب من شعره باعتباره من مظاهر التفاوت والاختلاف فى المواقف السياسية، والعقائدية لأفراد الأسرة الواحدة.

الكلمات الدلالية: كشاجم، الشعر، أهل البيت (ع).

**. عضو هيئة التدريس بجامعة قم - أستاذ مساعد.

**. خريج جامعة قم - مرحلة الماجستير.

Dr_amostafavinia@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٧/٩/١٣٩٠ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٦/٧/١٣٩٠ هـ. ش

المقدمة

شهد القرن الرابع الهجري في العصر العباسي مزيداً من الصراعات الفكرية والعقائدية، فتأثرت توجهات الشعراء والأدباء بها، واتخذ بعضهم موقفاً يدعو له ويدافع عنه، ولاسيما في قضية الولاية والحكم في الإسلام. وأصبح أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته، محور التعامل السياسي آنذاك. وكان لواقعة الطف، وما شهدته كربلاء، أثر كبير في استقطاب الأفكار نحو حقوق أهل البيت (عليه السلام)، فتأسست الخلافة العباسية من نداءات الثأر لهم. ولكن الحكم العباسي استمر في اضطهاد أهل البيت (عليه السلام) ففي زمن الرشيد أودع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) السجن. وتولى صاحب الشرطة السندی بن شاهك مهمة التضييق عليه، وبعد ذلك قتله بالسم. ولم يفلح السندی رغم محاولاته في إبعاد تهمة الاغتيال عنه، فاعتبر ذلك وصمة عار في تاريخه. إلا أن حفيده كشاجم وبعد سنوات، برز شاعراً ليردد:

أَعَادِلْتِي إِنْ بُرِدَ الثُّقَى كَسَانِيهِ حُبِّي لِأَهْلِ الْكِسَاءِ

(الديوان، ١٩٩٧م: ١٥)

فهاجت ذكريات السندی، وما اجرمه بحق الإمام الكاظم (ع) والتضييق عليه بالقيود والسلاسل، وهو العابد الناسك، وذرية خير الأنبياء، وربما يدفع ذلك السامع إلى أن يدقق ويتابع شعر كشاجم في أهل البيت (عليهم السلام)، ليتأكد من حقيقته، لكنه سينقلب واثقاً من صدق إحساس الشاعر، واستدلاله بالحجج العقلية والشرعية على حق أهل البيت (عليهم السلام)، والدفاع عن ولايتهم، وبيان أفضليتهم. وهذا ما دفع إلى تناول شعر كشاجم لتصوير حقيقة اعتقاده. لقد كان كشاجم موالياً صادقاً محباً مؤمناً بحق الولاية، ولم يبدُ أيُّ أثرٍ لما يخالف هذا الاتجاه الذي اختطه. ومما يثير الانتباه أن الشاعر بثَّ أفكاره وعقائده في قصائد رثاء أهل البيت (عليهم السلام)، في حين كان غرضه الوصف والمدح غالبين في أكثر شعره.

وتظهر أهمية هذا الموضوع، في إبراز إمكانية اختلاف المواقف السياسية في الأسرة الواحدة، والتغلب على التعصب الجماعي لمذهب أو رأي معين، وعدم الانصياع للمورث



الفكرى والعقائدى للعائلة، ومخالفته، كما حصل لكشاجم. ويعتبر ديوان الشاعر أهم مصدر لدراسة شعره، فقد دأبت المصادر الأدبية على تجنب الحديث عن الناحية المذهبية والخلاف الطائفى، وربما اتلف كثير مما كتب فى ذلك. والحقيقة فإن هذا البحث لا يهدف إلا إلى إظهار شعور الشاعر كشاجم تجاه أهل البيت (عليهم السلام)، من خلال الإشارة إلى طريقة تفكيره وسلوكه وبيانه فضائلهم وحبّه لهم، وحزنه عليهم، ومقارنتهم بأعدائهم، ثم تأمله بشفاعتهم عند الله عز وجل. فالشاعر لا يوجه مدحه ورتاءه إلا لموقف عقائدى يتعد به عن أساليب المجاملة والتملق والطمع فى العطاء، وهذا ما يعطى لاتجاه الشاعر عمقاً عقائدياً متميزاً، لكونه حفيد السندى بن شاهك. وقد شهد مؤرخو الأدب بجودة شعر كشاجم ورقته، خاصة براعته فى الوصف، إلا أن شعره السياسى لم يحظَ باهتمام، ولعل هذه المحاولة تساهم فى رسم اتجاهاته العقائدية وإبرازها. وقد اعتمد ديوانه مصدراً أساسياً فى ذلك. فحين ترد الأرقام فقط، فذلك إشارة إلى صفحات الديوان.

التعريف بالشاعر

اسمه وكنيته: محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك. (ابن النديم، ١٩٧١م: ١٥٤)، (ابن شهر آشوب، ١٩٦١م: ١٨٣)، (حاجى خليفة: ج ١: ٨٠٧)، (الشابشتى، ١٩٦٦م: ٢٦٠)، (ابن العماد الحنبلى، ١٤٠٦ق، ج ٣: ٣٧)، (الذهبي، ج ٢: ١١٠) وخالف السيوطى الاتفاق على اسمه فقال: إنه محمود بن محمد بن السدى. (حسن المحاضرة، ٢٠٠٧م، ج ١: ٥٣٠) ويظهر أن السدى تحريف من السندى، أما عن اسمه، فإن الزركلى يرجح هذه التسمية الأخيرة، على أن السندى جد الشاعر كان صاحب الشرطة فى عهد الخليفة العباسى الرشيد، فلا بد من أبوين بين كشاجم وجده السندى. إلا أن الاسم السابق هو المشهور، وبه ورد فى مقدمة نسخة قديمة من ديوانه، مكتوبة سنة ٥١٤ق. (مقدمة الديوان: ٧) وكنيته: أبو الفتح. (ابن النديم: ١٥٤)، (الشابشتى: ٢٦٠) وأبوالحسن. كما ذكر ابن العماد (ج ٣: ٣٧) أو أبونصر كما فى حسن المحاضرة. (السيوطى، ج ١: ٥٣٠) أما شاهك فذكر فى نهاية الأرب «وهى أمه». (النويرى، ٢٠٠٤م، ج ٣: ٩٩) لكنه لم يتحدث عن سبب ورود اسم أمه، ولم يبين اسم

والد السندی.

لقبه: كَشَاجِمِ، وهو منحوتٌ من حروف تشير كل منها إلى موهبة أتقنها صاحب اللقب، الذي أطلقه على نفسه، حيث أشارت الكاف إلى الكتابة، والشين إلى الشعر، والألف إلى الإنشاء، والجيم إلى الجدل، والميم إلى المنطق. وبعد أن تعلم الطب وأتقنه، قيل بأنه أضاف الطاء إلى لقبه، فقيل: طكشاجم. إلا أنه لم يشتهر به. (ابن العماد، لاتا، ج ٣: ٣٨) وقال في تاج العروس: «كشاجم، كُعلابط (أهمله الجماعة) بضم الكاف. وَفَتْحَهَا بَعْضُهُمْ.» (الزبيدي، ١٣٠٦ق، ج ٩: ٤٦) ويقولون كُشَاجِمِ والصواب كَشَاجِمِ بفتح الكاف.» (تصحیح التصحيف: ٢٨٢) وكذلك ذكر في تنقيف اللسان. (ابن مكى الصقلي، ١٩٦٦م: ١٣٨)

ولادته وأصله: لم يُذكَر تاريخ ولادة الشاعر؛ أما مكانها فقد نقل السيد محسن الأمين أنه: «الرملى... وفي معجم الأدباء عن أبي سهل أبي أحمد بن عبيد الله بن أحمد، كان أبوه سجزيا (أى من أهل سجستان) يعلم الصبيان، وولد هو ببلخ فى قرية قرأها، قال: هذا ما ذكره أبو محمد الوزيرى. وله فى كتاب (فى أخبار أبى زيد البلخى) وسمعت أن أباه كان يعلم بهذه القرية المدعوة شامستيان. وكان أبو زيد يميل إليها ويحبها، لأجل مولده بها، ونزعه إليها حبُّ المولد ومسقط الرأس، والحنين إلى الوطن الأول. ولذلك لما حسنت حاله، ودعته نفسه إلى اعتقاد الضياع والأسباب، والنظر للأولاد والأعقاب، اختارها من قرى بلخ. فاعتقد بها ضيعته... وقد كانت تلك الضياع باقية إلى قرب من هذا الزمان فى أيدى أحفاده وأقربائه بالقصبة. ثم إنهم كما أقدر قد فنوا وانقرضوا.» (أعيان الشيعة، ١٩٨٣م، ج ١٠٣: ١٠٣) وقال ابن العماد: «هو من أهل الرملة من نواحي فلسطين.» (شذرات الذهب، لاتا، ج ٣: ٣٨) وذكر الزركلى أنه رملى، أى من أهل الرملة فى فلسطين. (الزركلى، ١٩٨٠م، ج ٧: ١٦٨) وكذلك ذهب عمر كحالة. (كحالة، لاتا، ج ١٢: ١٥٩-١٦٠) وقد اختلف الباحثون فى أصله، فقال عمر كحالة: فارسى الأصل، وزاد الزركلى: «وإن أسلافه الأقربين كانوا فى العراق.» (الزركلى، لاتا، ج ٧: ١٦٧) وربما عوّلا فى ذلك على ما قاله الشاعر فى البيت التالى:



«قَوْمِي بُنُو سَاسَانَ لَيْتَ
سَ حِمَاهُمُ بِالْمُسْتَبَاحِ»

(الديوان: ٥٣)

وهو يفخر بأصله الفارسى، وسجاياه التى أوصلته إلى ما يعتز به فيقول:

شَهَرْتُ نَدَاىَ مَنَاسِبٍ لى فى ذُرَى كِسْرَى صَرِيحَةً
وَوَصَلْتُ ذَاكَ بِهَمَّةٍ فى المجد سَائِبَةً طَمُوحَةً

(الديوان: ٥٧)

أما يوسف البان سركىس، فذهب إلى أنه هندي الأصل. (البان سركىس، ١٩٢٨م: ١٥٦١) وقد يكون قد استند إلى اسم جده السندى. وهذا لا يكفى فى الاطمئنان إلى صحة النسب، لأنه كما ذكر فى (الضبط المقال فى ضبط أسماء الرجال): «السندى يسند إلى السند من بلاد الهند، وإلى السندية قرية قرب بغداد، وإلى قبيلة من الأكراد. ولقبٌ واسمٌ لبعض [منهم] سندی بن شاهك صاحب الحرس.» (حسن زاده: ١٠٨) ويظهر أن سركىس لم يكن موفقاً فى إرجاع أصله إلى الهند؛ لأن الألقاب لا تدل دائماً على أصول أصحابها. والصحيح أنه فارسى، لتصريحه بذلك فى شعره، فهو يفخر ببني ساسان ونسبه الصريح إلى كسرى، كما أن المصادر القديمة لم تُشر إلى أنه هندي الأصل، بل صرح بعضها أنه فارسى الأصل. وفيما يظهر فإن السندى هو اسم وليس لقب.

نشأته: أبقت المصادر التاريخية بدايات حياة كشاجم مجهولة، فلانعرف متى ولد، وكيف بدأت حياته، ومتى سكن الرملة، وكم عاش فيها؟ (العطية، ١٩٩٠م: ٨) ويظهر أن كشاجم كان طباحاً فى بداية حياته، وما يؤكد ممارسته للطبخ، كثرة ما ذكره فى أشعاره عن الطبخ والطعام، ووصف المشوى والقطائف والدجاج، حيث يقول:

دَجَاجَةٌ فى سِمَنِ السَّمْنَدِ بِنَيْلَةٍ وفخرِهَا بالهِنْدِ

[طائر يوجد فى الهند]

عَظِيمَةُ الزورِ كَصَدْرٍ نَهْدِ أَجْرِيَتَ مِنْهَا فى مجالِ العَقْدِ
تَفَرَّقُ بَيْنَ رِيشِهَا والجِلْدِ وَفُصِّلَتْ أَعْظَاؤُهَا من بَعْدِ
حتى إذا أَنْصَجَهَا بالوَقْدِ صَبَّ عَلَيْهَا اللوزَ مثلَ الزَّبْدِ

(الديوان: ١٠٠)

وقد تنقل الشاعر بين القدس ودمشق وبغداد وحلب والبصرة، حيث يقول عن
ترحاله:

هذا على أنني لأستفيقُ ولا أفيقُ من رحلةٍ في إثرها رحلتهُ
وما على البدرِ نقصٌ في إضاءتهِ أن ليسَ ينفكُ من سيرٍ ومن نقله

(المصدر نفسه: ٢٤١)

ويقول عن مصر حين كان فيها:

متى أراني بمصرَ جارهمُ نسبي بها كلُّ غادةٍ خضرةٍ

(المصدر نفسه: ١٣٩)

ثم يقول عن العراق في نفس القصيدة:

يا ليتني لم أر العراقَ ولم أسمعَ بذكر الأهوازِ والبصرةِ

وقد أحب الشاعر مصر وعاد إليها وقال فيها:

قد كان شوقي إلى مصر يُورقني فاليومُ عدتُ وعادتْ مصرُ لي داراً
أغدو إلى الجيزةِ الفيحاءِ مصطحباً طوراً وطوراً أرجى السيرِ أطواراً

(المصدر نفسه: ١٢٣)

واستقر أخيراً بمدينة حلب عاصمة الحمدانيين، بعد أن أصبح من شعراء أبي الهيجاء عبيد الله الحمداني، ثم ابنه سيف الدولة الحمداني، أمير حلب. أما نشأته العلمية فإن المصادر التاريخية لم تورد معلومات عن ذلك، إلا أن قصيدة له يمدح فيها الأخفش الأصغر (على بن سليمان) المتوفى سنة ٣١٥ ق، تبين أنه تتلمذ على يديه. وقد يكون كشاجم «قرأ عليه في مصر أيام كان الأخفش فيها بين عامي ٢٨٧ و٣٠٦ ق، أو في بغداد قبل أن يغادرها الأخفش إلى مصر.» (شعراء الغدير، ٢٠٠١م، ج ٢: ١٣٧) وقد أشاد الشاعر بقدرة أستاذه العلمية والأدبية، فقال:

إلى معدنٍ بالحكمةِ والآدابِ ممزوجهُ
إذا الأخبارُ حاجتُه ثناها وهي مَحجوجهُ
وكي يمنحني تأديبه هُ المَحضُ وتخرجهُ



وَمَنْ تَوَجَّيَ مِنْ عَدِمْ مِهْ أَحْسَنَ تَتْوِيْجَهْ

(الديوان: ٤٩٠، ٥٠)

مميزاته: يعتبر كشاجم من الشعراء المجيدين، والفضلاء المبرزين، وكان رئيساً في الكتابة، ومقدماً في الفصاحة والخطابة، له تحقيق يتميز عن نظرائه وتدقيق يربى على أكفائه، وتحديق في علوم التعليم، أضرم في شعله ذكائه. فهو الشاعر المفلق، والنجم المتألق.... شعره أنيق، وأرج مدوناته فتيق. (ابن العماد، ١٤٠٦ق، ج ٣: ٣٨) وفي الديارات: «كاتب مليح الشعر، رقيق الطبع، حسن الوصف.» (الشابستي، ١٩٦٦م: ٢٦٠) وفي معالم العلماء «وكان شاعراً منجماً ومتكلماً.» وقد عده من الشعراء المجاهرين بحب أهل البيت. (ابن شهر آشوب، ١٩٦١م: ١٨٣) وقال في الفهرست: «وأدبه وشعره مشهور.» (ابن النديم، ١٩٧١م: ١٥٤) وهو عند الذهبي «أحد فحول الشعراء.» (الذهبي، لاتا، ج ٢: ١١٠) و«كان مؤلفاً، صَنَّفَ في أفانين العلوم، ونادم الملوك.» (ابن خلكان، ١٩٧١م، ج ١: ١٠٥) ووصفه في سير أعلام النبلاء: «بشاعر زمانه، يُذْكَرُ مع المتنبي.» (الذهبي، ١٩٩٠م: ٣٧٩١) وفي (أعلام الكلام) أشاد به وقال: «وأما كشاجم فحكيم شاعر وكاتب ماهر، له في التشبيهات غرائب، وفي التأليفات عجائب. يجيد الوصف ويحققه، ويسبك المعنى فيرققه، ويروقه.» (ابن شرف القيرواني، ١٩٢٦م: ٢٤) وعلى ما تقدم من شهادات القدرة الشعرية والبلاغية، فإن كشاجم يعد ممن جمع فن الإنشاء والشعر.

آثاره: لكشاجم كما ذكر صاحب (الديارات) كتب كثيرة، وتأليفات طريفة، إلا أنه لم يذكر أسماءها. (الشابستي، ١٩٦٦م: ٢٠٦) في حين وردت في (الفهرست) أسماء ثلاثة من كتبه؛ هي أدب النديم، كتاب الرسائل، ديوان شعره. (ابن النديم، ١٩٧١م: ١٥٤) أما في (كشف الظنون) وفي (مجمع المطبوعات) فقد ذُكِرَ من كتبه: «١. أدب النديم؛ (كتاب الندماء ولطائف الظرفاء) ويليهِ شرح وتشطير قصيدة أبي فراس الحمداني. ٢. ديوانه؛ جمعه أبو بكر محمد بن عبدالله الحمدوني، ورَتَّبَه على حروف المعجم، ثم ألحق به زيادات أخذها عن أبي الفرج بن كشاجم، بعد ما أتم جمع الديوان.» (حاجي خليفة، لاتا، ج ١: ٨٠٧) و(الدمشقي، ١٩٢٨م: ١٥٦١) وفي (وفيات الأعيان) في ترجمة السرى الرفاء وهو



شاعر معاصر لكشاجم: «وكان السرى مغرى بنسخ ديوان أبي الفتح كشاجم المشهور، وهو إذ ذاك ريحانة الأدب بتلك البلاد.» (ابن خلكان، ١٩٧١م، ج: ١، ٢٥١) وذكر في (معجم المؤلفين) و(الأعلام) من مؤلفاته: «المصاديد والمطارد، الطبخ، خصائص الطرب.» (كحالة، لاتا، ج: ١٢، ١٥٩-١٦٠) (الزركلى، ١٩٨٠م، ج: ٧، ١٦٨) وفي مقدمة كتاب أدب النديم لكشاجم، ذكر عشرة كتب له. وأن له غير ما ذكر: كتاب البيرزه المظنون أنه لبارزيا العزيز بالله الفاطمي كما أشار إلى ذلك محققه محمد على كرد. كما نسب إليه كتاب (كنز الكتاب) و(الطرديات فى القصائد) والصبيح ولعله محرف من الطبخ. (العطية، ١٩٩٠م: ١٣، ١٢) وفاته: لم تذكر المصادر مكان وفاة كشاجم. ولم يذكر (ابن النديم) ولا (الشابستى) حتى تاريخ وفاته. إلا أن الآخرين اختلفوا فى تاريخها. فقد ذكر فى (شذرات الذهب): أنه توفى سنة ٣٦٠ق و ذكر (السيوطى): أنه من وفيات ما بين سنة ٣٤٥ق و ٣٥٤ق. واعتمد (الزركلى) سنة ٣٦٠ق أما (يوسف ليلان سركىس) فجعلها إما ٣٥٠ق أو ٣٦٠ق. إلا أن (الذهبي) اعتبر وفاته سنة ٣٦٠ق. (الذهبي، لاتا، ج: ٢، ١١٠) أما (الحاجى خليفة) فذكر ديوانه، فقال: «المتوفى سنة ٣٥٠ق.» (حاجى خليفة، لاتا، ج: ١، ٨٠٧) ولكنه حين ذكر كتابه أدب النديم قال: «المتوفى فى حدود سنة خمسمائة.» (نفس المصدر، ج: ١، ٤٩) وتفيد القصيدة التى مدح بها الشاعر الوزير أبا مقله المتوفى ٣٢٨ق، إنه قد تغيرت حاله حين جاءه الشيب وولى شبابه وقل زواره بعد كثرتهم، فهو يقول:

وإنَّ شَيْبَى قَدْ لَاحَتْ كَوَاكِبُهُ فى ظِلْمَةٍ من سِوَادِ اللَّمَّةِ الجِثْلَةِ

[الجثلة: الكثيفة]

وبان منى شبابٌ كان يشفعُ لى سُقياً له من شباب بان سُقياً له
قد كان بابى للعافين منتجعاً ينتابُهُ ثلَّةٌ من بَعْدِهَا ثلَّةٌ

(الديوان: ٢٦٠)

ويبدو أن هذه القصيدة كانت فى أول فترة الشيب والكبر. ويستبعد أن تكون وفاته، قد حصلت بعدها بسنتين، فقد ذُكرَ أنه: «جاء فى مقدمة ديوانه أنه توفى سنة ٣٣٠ق.» (شعراء الغدير، ٢٠٠١م، ج: ٢، ١٣٤) إلا أن ابن العماد حين وضع سنة ٣٦٠ق تاريخاً لوفاته،



أشار إلى حدوثها فى السنة التى توفى فيها الكاتب المعروف (ابن العميد). (ابن العماد، ١٤٠٦ق، ج ٣: ٣٣٨) وهو ما يرجحها على غيرها؛ لأن تاريخ وفاة الشخصيات المعروفة يبقى محفوظاً فى أذهان الناس.

شعره ونثره: يبدو من ديوان كشاجم أن شعره يتميز بخفة الوزن، وسرعته غالباً، وإكثار الوقف فى القافية، أو المد فيها. أما الأغراض؛ فقد أكثر من الوصف ولم يُطِل فيه، وأكثر من وصف الطعام، ولوازم الطبخ، وكذلك الكتابة فى الخمر. وقد كتب فى المدح، ورثاء أبيه وأمه، إلا أن له قصائد فى رثاء أهل البيت (عليهم السلام)، أبرزت عقيدته فى حبهم، وبيّنت نظرته إلى وقائع التاريخ الإسلامى، وموقفه السياسى من الأحداث والصراعات المذهبية. وبصورة عامة، فقد تنوعت أغراض شعره فى أسلوب سلس العبارة، لكنه عميق المعنى، بعيد المغزى، واسع الخيال، واضح الألفاظ، خفيف الوقع. لذلك عدّ من فحول الشعراء. كما أن من فنونه، كتابة الإنشاء. فقد كان رئيساً فى الكتابة، ويقول هو عن قدرته الفنية والأدبية فى حسن الخط والإنشاء:

ولى خدمةٌ يكشِفُ الامتِحا
نُ عنها فتحمدُ ما تَمْتَحِنُ
ومَوْشَى خَطِ أضاء بهِ
غرائبُ موشى نَسَجَ اليمَنُ
ومتنورٌ لفظٌ كمر وفك الـ
جميل الذى لم يكدر بمن

(الديوان: ٣٠٥)

ويبدو أن كشاجم كان ذا موهبة فذة فى صياغة اللفظ، جعلت الآخرين من الشعراء يشيدون بها؛ لتمييزها بالدقة والحسن والإيجاز، وهو ما يجذب رواد الأدب والفن اللغوى. ولاشتغال كشاجم بالطبخ والشعر، فقد برز الملح فى أوصافه. فقال فى شذرات الذهب: «وكان يُضربُ بملحه المثل، فيقال ملح كشاجم.» (ابن العماد، ١٤٠٦ق، ج ٣: ٣٧) وقد ذُكر (شعر كشاجم) عند كثير من مؤرخى الأدب أمثال: الحموى والتعالبي وغيرهما، مما يشير إلى شهرة شعر كشاجم بين أهل الأدب، حيث أورد البيت التالى وهو لأحد شعراء عصره:

يا بؤسَ مَنْ يُمْنِي بدمعِ ساجِمِ
يُهْمِي على حُجَبِ الفؤادِ الواجِمِ

لولا تَعَلُّهُ بِكَأْسِ مُدَامَةٍ وَرَسَائِلِ الصَّابِيِ وَشِعْرِ كَشَاجِمِ

(الحموي، لاتا، ج: ١، ١٨٧) (التعالبي، ١٩٨٣م، ج: ٢، ٢٨٨)

وفي (الإعجاز والإيجاز) عن شعر كشاجم: «كان أبو بكر الخوارزمي يقول: أَحْفَظُ فِي هِجَاءِ الْمَغْنِينِ قِرَابَةَ أَلْفِ بَيْتٍ، لَيْسَ فِيهَا أْبْلَغُ وَأَمْلَحُ وَأَوْجُزُ مِنْ قَوْلِهِ: مَا رَأَاهُ أَحَدٌ فِي دَارِ قَوْمٍ مَرَّتَيْنِ.» (التعالبي، ٢٠٠٦م: ١٠٨)

ويظهر أن كشاجم يميل في أسلوبه إلى التركيز والاختصار، فقلما يطيل في قصائده. وكلامه فيه من التنظيم والدقة، ما يجعله ذا منهج واضح. ويلمس ذلك محقق كتابه (أدب النديم) فيقول: «وقد حرص الرملي وهو يعالج هذه الأبواب على أن يكون منهجياً، وغير مطيل، وقد أشار إلى ذلك في ثنايا الكتاب مؤكداً رغبته في عدم الخروج (بالكتاب عن حده)». (الخطبة، ١٩٩٠م: ١٥) وكل ذلك يشهد بقدرته البلاغية.

علاقة السندی (جد الشاعر) مع الإمام الكاظم (عليه السلام): من أصعب أمور الدنيا أن يتلى الإنسان بالظلم مدفوعاً إليه بطمع أو انحراف عن جادة الصواب. والشاعر كشاجم كما تأكد: «أنه من ولد السندی بن شاهك». (ابن النديم، ١٩٧١م: ١٩٤) «وهو صاحب الحرس (الشرطة)». (اضبط المقال: ١٠٨) وكانت قد أوكلت «إلى السندی مهمة سجن الإمام موسى ابن جعفر الكاظم عليه السلام في بغداد». (ابن خلكان، ١٩٧١م، ج: ٥: ٣١٠) أيام حكم الخليفة العباسي الرشيد. ويقول الخطيب في تاريخ بغداد: «حُبِسَ موسى بن جعفر عند السندی بن شاهك، فسألته أخته أن تتولى حبسه، وكانت تتدين، ففعل. فكانت تلى خدمته. فحكى لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة، حمد الله، ومجده، ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل... فكانت أخت السندی إذا نظرت إليه، قالت: خاب قومٌ تعرَّضُوا لهذا الرجل.» (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧م، ج: ١٣: ٣٢)، إلا أن السندی قسى على الإمام الكاظم (عليه السلام) في سجنه. واستجاب لأمر الرشيد بقتله. وأقدم على تنفيذه، «وعمد إلى رطب فوضع فيه سما فاتكا، وقدمه للإمام، فأكل منه عشر رطبات، فقال له السندی: زد علي ذلك) فرمقه الإمام بطرفه، وقال له: حسبك قد بلغت ما تحتاج إليه.» (اعلام الهداية، ٢٠٠٥م، ج: ٩: ١٧٣-١٧٤) وقد صور الشاعر (الفرطوسي) ذلك، في ملحمة



أهل البيت فقال:

ورآه السندى حين أتاه وهو عند المحراب وقت الأداء

قال:

إنى بليت فى السجن بلوى بك من دون سائر السجناء

[ثم قال:]

أودعوه طامورة قط فيها لم يميز بين الدجى والضياء
فسقاه السندى فى رطبات شر سقم سقاه مراً الفناء

(الفرطوسى، ١٩٨٧م، ج ٩: ٢٨، ٢٣)

ويذكر المؤرخون: أن السندى جدّ كشاجم، حاول التملص من مسؤولية قتله للإمام الكاظم (عليه السلام)، بعد أن كان قد تخلى عن مهمة قتله، مقربون من الرشيد ممن كلفهم، إلا أن السندى لم يفلح فى ذلك. ولا شك أن التورط به، قد قض مضاجع السندى، بحيث أصبح ذلك وصمة عار تلاحقه فى حياته، وتدفع المقربين إليه إلى التخلّى عن مسؤولية هذا العمل الشنيع. فكما ذكرت الروايات: «فقد وكلّ السندى بشاراً مولاه، وكان من أشد الناس بغضاً لآل أبى طالب، ولكنه لم يلبث أن تغير حاله، وآل إلى طريق الحق، وذلك لما رآه من كرامات الإمام ومعجزه. وقام ببعض الخدمات له.» (اعلام الهداية: ١٦٦) فسيرة الأئمة الطاهرين ومكانتهم المرموقة، لم تدعّ عذراً لظالمهم بالاستمرار فى الغى والجحود. ولعلّ كشاجم تأثر بما سمعه عن سلوك عمّة أبيه مع الإمام الكاظم (عليه السلام)، أو حتى أبيه، لأنّ (النجاشى) يذكر: بأن معلم أبيه كان (موسى بن إبراهيم المرّوزى)، قال عنه النجاشى: «أبوحرمان، روى عن موسى بن جعفر (عليه السلام)، له كتاب ذكر أنه سمعه وأبوالحسن (عليه السلام) محبوبس عند السندى بن شاهك. وهو معلم ولد السندى بن شاهك.» (رجال النجاشى، ١٤٢٧ق: ٤٠٧-٤٠٨) كما أن أخت السندى كانت تدعو على ظلمة الإمام، وتتأى بنفسها من تقبل هذا الظلم، وهو ما يشير إلى رفضها لهذا الجور بحق أهل البيت (عليهم السلام). وقد يكون ذلك بداية وعى العقول الغافلة، وتوجهها لرفض مظالم العترة الطاهرة، والدفاع عن حقها، والحزن

لمصاها، وهو الطريق الذى اختاره كشاجم، رافضاً سلوك جده السندى القاتل.
 السمات الفكرية للشاعر كشاجم: إن أهم ما يلزم الفرد فى تصرفاته، عقيدته وفكرته
 فى الحياة. فإذا اختط لنفسه منهجاً يلتزمه، فإن آثار ذلك النهج الذى انتمى إليه تظهر
 فى سلوكه. فالشاعر يؤكد أنه يريد اتباع الحق ومجانبة الباطل. بل إن أعداء الصواب هم
 الذين نصبوا له العدا. ولعله فى ذلك يشير إلى توجهاته الفكرية، فيقول:

وما يُعاديَنى إلا كلُّ مَنْ عَادَى الصَّوَابَ
 زادنى اللهُ مِنَ الحِكمَةِ حَظًّا واكتساباً

(الديوان: ٣٤)

فهو يؤمن بأن الناس أكفاء، ولا بد أن لا يحصل الاستبداد حين يتكفل الإنسان فى
 فترة معينة منصباً أو مهمة معينة. فعليه الإنصاف فى الحكم لأن هذا المنصب، إنما جاء
 للشخص، فضلاً من الآخرين؛ أما فرصة سنحت له، أو إن ذلك عادة اجتماعية، وهو أن
 تتحول المناصب من فرد إلى آخر. فعليه أن لا يظلم ولا يتجبر:

لا تَسْتَبِدْ بما مُنِحْتَ فإنَّما هى فَلتَةٌ أو عَادَةٌ مَتَّحِلَةٌ
 الناسُ أكفاءٌ ولكنْ فاتَهُمُ بالفضلِ مأمولٌ أصاخٌ مؤمِّلَةٌ

(الديوان: ٢٥٤، ٢٥٣)

بل إن الشاعر يعبر عن عزة النفس وكرم الأخلاق من خلال التزامه الطريق الصحيح،
 فيقول:

ولدينا لذي المودَّةِ حفظٌ ووفاءً بالمعهدِ والميثاقِ
 تلكَ أخلاقنا ونحنُ أناسٌ همُّنا فى مكارمِ الأخلاقِ

(المصدر نفسه: ٢٣٥)

فهو لا يرضى لنفسه أن يعيش الذل، بل يدعو على مثل هذه النفس الذليلة أن تلقى
 موتها قريباً، فهو يكرم نفسه، ويمنعها من الذل فيقول:

فباليَّتِ نفساً لا يسانُ مَؤنِها عنِ الذلِّ لا قاهاً وشيكاً حِمَامِها



أهل البيت عليهم السلام فى شعر...

سأكرم نفساً لا يهون كَرِيمُهَا وأحرمُها من أن يُدَلَّ مُقَامُهَا

(الديوان: ٢٨٥)

فالشاعر يعيش جوا للإخلاص والصراحة وإبراز ما فى النفس، وكلها ترسم سمات العزة وحرية الرأى، فيقول فى إحدى قصائده متحدثاً عن أحد ممدوحية:

ومستهجنٍ مَدْحِي لَهُ أَنْ تَأَكَّدَتْ لَنَا عَقْدَةُ الْإِخْلَاصِ وَالْحَقُّ يُمَدِّحُ
ويأبى الذى فى القلبِ إِلَّا تَبَيَّنَّا وكلُّ إناءٍ بالذى فِيهِ يَنْضَحُ

(المصدر نفسه: ٥٩-٦٠)

وهو يتمثل القول العربى المأثور (فإنَّ الأناءَ ينضحُ بما فيه)، وكذلك قول زهير بن أبى سلمى:

ومهما تكنْ عندَ امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإنْ خالها تخفى على الناسِ تُعَلِّمُ

وتبرز قوة النفس وصلابة الشكيمة فى نظر الشاعر مع الابتلاء ومواجهته، فالدهر بمخنه وصعوباته وعدم إنصافه يختبر الإنسان. لكن الحرَّ الذى لا يرضى إلا بالعزِّ مع القناعة والصبر، سوف يخيب مساعى الدهر غير المنصفه، ويجعله لا يدرك أهدافه فى التغلب على عزة نفس الشاعر، فيقول:

سَلْ بى وبالأيامِ تَعْرِفُ أنى ابنُ دهرٍ ليس يَنْصِفُ

(المصدر نفسه: ٢٢٧)

ويقول:

وقد بليتُ بدهرٍ ليس يُنصِفُنِي وما علمتُ له فى ذاكِ من دَرَكَ

(المصدر نفسه: ٢٤١)

فالشاعر غنى بحيائه، حرٌّ لا يكونُ عالةً على غيره، بل يحمل أوزاره بنفسه، صابراً على الحياة، قانع بما لديه، لا يظهر الرغبة إلى الغير بالتملق أو التقرب، فهو يصور امتحان الدهر له فيقول:

فاعملَ الدهرُ فى خَتَلِي مَكَائِدَهُ والدهرُ يعملُ فى أهلِ الهوى خَتَلَهُ
لكنْ قَنَعْتُ فلمْ أرغبُ إلى أَحَدٍ والحرُّ يحمِلُ عن إخوانِهِ كُلَّهُ

أقنى الحياءَ فاستغنى به فإذا أعلَّ قومٌ بحُسنِ الصبرِ لى علَّة

(المصدر نفسه: ٢٤١)

فمصائب الدهر ومكائد الحياة تحارب من يريد أن يحيا بقناعة وحياء، وتتجاوب وتسالِم مع من يريد التسلط والوقاحة والجور، في نظر الشاعر. ومع ذلك فلا بد له، أن يبقى ساعياً نحو حقه، حتى إذا لم يكن نصيبه النجاح. فالذى يجب عليه هو السعى، أما تحقق ذلك فعلى الله عزَّ وجل. وفي هذا المعنى يؤكد مفهوم الآية الكريمة: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩) فيقول:

ولقد عَجِبْتُ مِنَ اللَّيَالِي كيف هاضتْ من جَنَاحِي

[هاض: كسر. وهاض من الجناح: كناية عن الإذلال]

لكنها حرب الحياءِ يّ وسلّم ذى الوجهِ الوقاحِ
وعلىّ أن اسعى وليّ سَ علىّ ادراكُ النجاحِ

(الديوان: ٥٤)

ويبين الشاعر كيف أن الأمور تلتبس على الإنسان في الحياة، فينخدع بالباطل، وتتقلب الحقائق لديه، فيقول متحدثاً عن الدهر:

يريك وجوه المكرّماتِ ضواحكاً ويوضّح مسودّ الأمورِ فيبيّضُ
وكمّ خفّق الأمرَ الذى هو باطلٌ وكمّ دَحَضَ الحقُّ الذى مالهُ دَحَضُ

(المصدر نفسه: ٢٠١)

ومن منطلق عدم الانخداع بأحابيل الدهر وخدع الزمان، لابد في نظر الشاعر من أن يدقق في حقائق الأمور، ويعرف الحق كما هو، ويلتزمه، ويتعد عن الباطل ويستنكره. ومع معرفة الشاعر بتصرف جده (السندی بن شاهك) مع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ومع اضطراب الأفكار والآراء في ذلك العصر، بين طامع في الدنيا ومنحرف مع هوى الباطل وإغراءاته، وبين متمسك بالحق، متحمل للمتاعب والمضايقات في فترة الحكم العباسي، إلا أن الشاعر عبّر عن وقوفه إلى جانب الحق الساطع الذى يمثله الولاء لأهل البيت (عليه السلام). فهو مع بقائه في (حلب) حاضرة الحمدانيين آنذاك،



والذين عرف عنهم تشيعهم، إلا أنه كما يظهر، تنقل فى عدة بلدان ومناطق كان يُعاني فيها من وجود أفكار الانصياع للحاكم والتخلى عن مساندة أهل البيت (عليهم السلام)، ولكن رغبته فى التزام الحق جعلته متمسكاً به، منشداً لقصائد وأبيات عبرت عن ولاء صادق، ومحبة حقيقية، حتى إن (ابن شهرآشوب) عدّه «من شعراء أهل البيت.» (آغا بزرگ الطهرانى، لاتا، ق: ٤: ٣١٦)

بيان فضائل أهل البيت (عليهم السلام): إن اختيار أى اتجاه عقائدى، لا بد أن يكون مبنياً على ميزات وصفات يتميز بها ذلك الاتجاه. فالولاء لأهل البيت يتطلب معرفة خصائصهم، وما امتازوا به من الصفات والمناقب والمكارم حتى أصبحوا فى نظره هم الأفضل والأجدر بالاتباع، والأكثر استحقاقاً للطاعة لهم، والاسترشاد بهم. بل إن ذلك هو ما يأمر به الخالق عزوجل، وما تريده الرسالة المحمدية السمحاء. فلا معنى لاتباع المفضول مع وجود الأفضل. وعلى هذا الأساس انكشفت الأمور للشاعر فى مقارنته بين أهل البيت (عليهم السلام) ومناوئهم. فهو يجد فى ذرية الرسول الكريم (ص) ما يجده فى جدهم المصطفى. وأولى الفضائل هى الطهارة والعفة، استناداً إلى الآية الكريمة: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ (الأحزاب: ٣٣) فيقول فى ذلك:

وخبيرة ربى من الخيرتين وشفوة ربى من الأصفياء
طهرتكم فكنتم مديح المديح وكان سواكم هجاء الهجاء

(الديوان: ١٧)

فقد استحق أهل البيت المديح لأنهم الذين اصطفاهم الله، وميزهم عن غيرهم بأذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم الكامل المؤكد، وبذلك استحق من عاداهم الهجاء التام الأكيد، فقال:

هم حُجَجُ اللهِ فى خَلْقِهِ ويومَ المعادِ على من خَذَلْ
ومن انزل الله تفضيلهم فزادَ على الله ما قد نَزَلْ
فجدُّهم خاتم الأنبياء يَعْرِفُ ذاكَ جميعُ المِلَلْ

ووالدُهُمْ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَمُعْطَى الْفَقِيرِ وَمُرْدَى الْبَطْلِ

(المصدر نفسه: ٢٧٢)

فبالإضافة إلى فضل انتمائهم إلى نبي الإسلام ووصيه، فقد امتازوا بالعطاء والكرم والشجاعة. ثم يتطرق إلى ميزة مهمة في تولى القيادة والولاية ألا وهي صفة المعرفة الراقية، فاتصافهم بالعلوم العالية والتي لا يستطيع غيرهم أن ينالها، باعتبارها علوماً سامية، يجدر بالمسلمين أن يستفيدوا من أصحابها، فيها ينالون الرفعة والتقدم. فيقول:

هالالٌ إلى الرُّشدِ عالى الضِّيا وسيفٌ على الكفرِ ماضى المضاءِ
وبحرٌ تدفَّقَ بالمعجزاتِ كما يتدفَّقُ يُنبوعُ ماءِ
علومٌ سماويةٌ لا تُنالُ ومَن ذا ينالُ نجومَ السماءِ

(المصدر نفسه: ١٦)

ويذكر الشاعر فضيلة أخرى، وهي المواقف العملية المتصفة بالشجاعة وعدم الخوف في وجه الكفر والنفاق، والصمود في أحلك الأوقات وأصعبها، وعدم الانجرار بالدنيا:

ومنَّ علمَ السُّمرِ طَعَنَ الحلَى لذي الرُّوعِ والبيضِ ضربَ القُللِ
ولو زالتِ الأرضُ يومَ الهيا ج من تحتِ أخمصِه لم يُزلْ
ومن صدَّ عن وجهِ دنياهمُ وقد لبستِ حلِّيها والحُللِ

(المصدر نفسه: ٢٧٢)

فهو يشير إلى فضائل الشجاعة والثبات والزهد في الدنيا وطلب الآخرة، وعدم الخوف في وجه الكفر والنفاق في المواقف العملية. فيقول:

وكمُ موقفٍ كان شخصُ الحِمامِ منِ الخوفِ فيه قليلُ الخُفاءِ

(المصدر نفسه: ١٦)

ثم ينتقل إلى المعاجز والكرامات التي جرت على يد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وما هذه المعاجز إلا لمن أنكر مكانته، وجحد حقه، فيقول:

جلاهُ فإنِ أنكَروا فَضْلَهُ فقد عرَفَتْ ذاكَ شمسُ الضحائِ
أراها العجاجَ قبيلَ الصبّاحِ وردّتْ عليه بُعَيْدَ المساءِ



(نفس المصدر)

لقد أَوْضَحَ (الإمام على) الحقَّ لهم، لكنهم أنكروا فضله، إلا أن شمس الضحى عرفت عظمتَه، فقد أرى هذه الشمس عجاج التراب فى حروبه ضد الكفر، متقدماً إلى القتال قبيل الصباح، وهو الدليل على إقدامه وهمته. وقد ردت عليه الشمس بعد أن غربت، فى حادثه رد الشمس المعروفة، وهى من المعاجز. حين يقول فى قصيدة أخرى:

وَمَنْ رَدَّ خَالِقُنَا شَمْسَهُ عَلَيْهِ وَقَدْ جَنَحَتْ لِلطَّلِّ
ولو لم تُعَدِّ كان فى رأيه وفى وَجْهِهِ من سَنَاهَا بَدَلٌ

(الديوان: ٢٧٣)

والشاعر يبين فضيلة الدفاع عن الدين فى بداية ظهوره ومواجهته للكفر بالسيف، حين حاربه رأس الكفر أبوسفیان، بينما ناصره الإمام على (عليه السلام):

حاربه القومُ وهو ناصرُهُ قَدِّمًا وَعَشْوُهُ وهو ناصِحُهُ
وكم كَسَا منهمُ السِيفَ دَمًا يومَ جَلادٍ يُطِيحُ طائِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٢)

كما بيّن الشاعر بأن أعداء أهل البيت (عليهم السلام) حين يخفون فضل أهل البيت فإن ذلك لا يضرهم؛ لأن القرآن الكريم هو الناطق بفضلهم، سواء الآيات الصريحة الواضحة، أو ما احتاج إلى تفسير. فيقول:

أو تَكْتُمُوا فالقرآنُ مُشْكِلُهُ بفضليهِمُ ناطقٌ وواضحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٢)

ويستعرض الشاعر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) فى عبارات موجزة معبرة، ينتقل بها من فضيلة الشرف والعلم والحلم والبلاغة إلى الوقوف إلى جانب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فى دفع المصاعب النائرة عنه بالسيف التى حمت الإسلام، ثم يبين فضله فى الزهد بالدنيا، والتوجه لرضا الله فى الآخرة، التى كانت جزاءً حسناً لهم، حين أقبلوا عليها:

آلُ النبي فَضَلْتُمْ فضلَ النُجُومِ الزاهِرَةِ

وبَهْرْتُمْ أَعْدَاءُكُمْ بالمآثراتِ السائرة
ولكم مع الشرفِ البلا غَةً والحلومُ الوافرة
وإذا تُفَوِّخِرَ بِالْعَلَا مِنْكُمْ عَلَاكُمْ فَآخِرَةٌ
هذا وَكُمْ أَطْفَاتُمْ عَنْ أَحْمَدٍ مِنْ نَائِرَةٍ
بِالسُّمْرِ تُخَضَّبُ بِالنَّجِيعِ ع وبالسُّيُوفِ البَاثِرَةِ
تُشْفَى بِهَا أَكْبَادُكُمْ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ كَافِرَةٍ
وَرَفَضْتُمْ الدُّنْيَا لِدَا فُرْتُمْ بِحَظِّ الآخِرَةِ

(المصدر نفسه: ١٣٠)

وهذه الميزات والصفات الفريدة هي التي جعلته يعتقد اعتقاداً قلبياً بعظمة أهل البيت. ويهفو إلى محبتهم مؤمناً بها، غير مخادع أو مجامل بالرياء، لأن ما ذكره من حجج يبين حقيقة الاعتقاد وأصلته.

الاعتقاد بحب أهل البيت (عليهم السلام): بتأكيد الشاعر على فضل أهل البيت عليهم السلام، يبين عمق إيمانه بالولاء لهم، واتباعهم، قناعةً منه باستحقاقهم لذلك الاتباع. فهو يرد على من يلومه أو يعذله على هذا الانتماء، ويرجعه إلى أساس الحب لأهل الكساء، الذين كساهم الرسول الأكرم معه، وأوصى بهم فهو يشير إلى حديث الكساء، فيقول:

أَعَاذَلْتِي أَنْ بُرِدَ التَّقْوَى كَسَانِيهِ حُبِّي لِأَهْلِ الْكِسَاءِ
سَفِينَةُ نُوحٍ فَمَنْ يَعْتَلِقُ بِحُبِّهِمْ يُعْتَلِقُ بِالنَّجَاءِ

(الديوان: ١٥)

فحب أهل البيت (عليهم السلام) يبتنى أساساً على التقوى، واتباع أقوال الرسول الأكرم، ووصاياه في حديث الكساء وحديث سفينة النجاة التي نجا من ركبها وهلك من تركها. لقد قضى الشاعر واجب حب أهل البيت، فقد دعا الرسول الأكرم إلى أن يصيب المؤمن فضل حب آله. فالشاعر ينظر إلى هذا الحب باعتباره واجباً دينياً من ناحية، وشرفاً للمؤمن به من ناحية أخرى. فمدح آل البيت واجب على كل مؤمن:

قَضَيْتُ بِحُبِّكُمْ مَا عَلَيَّ إِذَا مَا دُعِيْتُ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ



(الديوان: ١٧)

ثم يشير الشاعر إلى أن حب على بن أبى طالب (عليه السلام) مجلبة للغنى. فهو غنى النفس وعزتها ورفضها لزخرف الدنيا، وغرورها، كما عهد عنه (عليه السلام) وآله أعتزاً كرماء، يستهينون بالدنيا، وكذلك شيعتهم الحقيقيون. فيقول رداً على ادعاءات أعدائهم:

زَعَمُوا أَنَّ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا ظَلَّ لِلْفَقْرِ لَابِسًا جَلْبَابًا
كَذَبُوا مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ فَقِيرٍ يَتَحَلَّى مِنَ الْغِنَى أَثْوَابًا
حَرَفُوا مَنْطِقَ الْوَصِيِّ بِمَعْنَى خَالَفُوا إِذْ تَأَوَّلُوهُ الصَّوَابَا
إِنَّمَا قَالَ فَارْفُضُوا عَنْكُمْ الدُّنَى يَا إِذَا كُنْتُمْ لَنَا أَحْبَابَا

(الديوان: ٢٦)

ولعل ما أشار إليه الشاعر من ادعاء لفقير الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) مادياً، يرجع إلى كثرة التضييق عليهم من قبل الولاة المعادين لهم. فكم من ظلم أوقع على اتباع أهل البيت استوجب حرمانهم من حقهم فى الكسب، وتحسين أوضاعهم، ولكن مع ذلك فإن غنى النفس هو الميزة التى يراها الشاعر فى محبى أهل البيت، فهم لتقواهم لا يتجهون إلى حب الدنيا وملذاتها، فالتقوى والتعلق بالدنيا لا يتفقان. وهذا ما أراده الإمام الوصى على بن أبى طالب (عليه السلام) فى منطقته وكلامه. لكنهم حَرَفُوا كَلَامَهُ، فَادَّعَوْا أَنَّ حَبَّ عَلِيٍّ مَجْلِبٌ لِلْفَقْرِ. ويشير الشاعر فى موضع آخر إلى أن حب الوصى هو برٌّ وإحسان وصدق فى الصلة بالوصى. وهى كفيلة بطهارة أهل المحب، كما أن أهل العلم معروفون بحبهم للوصى، فى حين يجحدُ حقهُ الجاهلُ. فالتشيعُ ظاهرٌ منظورٌ شائعٌ فى طبقة الأسياد والوجوه البارزة، فى حين أن نصب العدا لعلى (عليه السلام) منظور بين أراذل الناس وسفلتهم، فقد عُرِفَ طاهرُ الأصلِ من حب على (ع). وروى عن أنس بن مالك قال: «ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه إلا ببغض على بن أبى طالب». (ابن مردويه، ١٤٢٤ق: ٧٦) حيث يقول الشاعر مشيراً إلى هذا المفهوم:

حُبُّ الْوَصِيِّ مَبْرَةٌ وَصَلَةٌ وَطَهَارَةٌ بِالْأَصْلِ مَكْتَفَلَةٌ
وَالنَّاسُ عَالِمُهُمْ يَدِينُ بِهِ حُبًّا وَيَجْهَلُ حَقَّهُ الْجَهْلَةٌ

وَيُرَى التَّشْيِيعُ فِي سُرَاتِهِمْ وَالنَّصَبُ فِي الْأَرْدَالِ وَالسَّفَلَةُ

(الديوان: ٢٦٥)

والشاعر بهذه المقارنة بين المحب والمبغض، يبين أثر نعمة الحب لآل البيت، وربما أشار بذلك إلى أحاديث الرسول الأكرم حين سئل عن علي فقال: «ذاك خير البرية، لا يبغضه إلا كافر.» وقد ورد هذا الحديث عند أهل السنة في موارد عديدة، بألفاظ متقاربة. (العسكري، ١٤١٣ق، ج: ١، ٦٤) وفي قصيدة حول أحد أصدقائه، يعتر كساجم بأنه وصديقه، كلاهما يحبان الرسول الأكرم، ووصيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبضعة الزهراء البتول سلام الله عليها، وهو بذلك يشير إلى مبدأ أخوة الشيعة، فيقول:

أَنْفَسٌ مُؤْتَلَفَةٌ بِالْإِخَاءِ كُلُّهَا تَدِينُ بِحَبِّ الرَّسُولِ
فَارْجُ الظَّلَامِ وَهَادِي الْأَنْامِ وَالْوَصِيَّ صَاحِبِهِ وَالبُتُولِ
فَضْلُ هَذَا لِصَاحِبِهِ وَالـ عَدُوٌّ مَكْتَسَبٌ قَلْبُهُ بِالْغَلِيلِ
بَيْنَنَا مُوَاصَلَةٌ لَا يُبْتُ حَبْلُهَا بِقَالِ عَدُوٍّ وَقِيلِ

(الديوان: ٢٥١)

فالشاعر يعد حب الرسول وآله، فضل له ولصديقه في حين أن عدوهما قلبه حزين لم يشتم غليله. فعلاقة حب أهل البيت تقوى الصلة بينه وبين صديقه، بحيث لا يقطعها القيل والقال من قبل الأعداء والحاقدين. ولا بد أن نستشعر أثر البيئة الاجتماعية في توجيه إلى موضوعات معينة وأسلوب تناولها. فالشعراء أثناء لقائهم في الاجتماعات الخاصة والعامة، يتأثرون ببعضهم، ويلتفتون إلى ما جذب انتباه أقرانهم. ففي فترة الدولة الحمدانية بحلب أو ما تلاها من ظهور للحركات المؤيدة لأهل البيت، نجد أغلب الشعراء المعروفين قد تطرقوا في قصائدهم إلى الولاء لأهل البيت؛ لأن ذلك مبنى على قناعة عقلية بأفضليتهم، التي أيدها العقلاء وأهل الشرف والنجباء، الذين لا يرتضون لمن لا يستحق الوصول إلى الحكم، أن يتسلق على حقوق الجديرين به. فقد جاءت الحجج قوية قاطعة. وربما فسر أحمد أمين قوة الأدلة على حق أهل البيت، بالقوة البلاغية. فيقول: «فأئمة الشيعة قد وهبوا لسانا ناطقا، وقولا عذبا، فأثرت عنهم الخطب الرنانة،



والكتب التى تقرب من حد الإعجاز، والأجوبة القصيرة التى جمعت بين إصابة المعنى وإيجاز اللفظ.» (أمين، لاتا، ج ٣: ٣٠٢) ولا شك أن شعراء الشيعة تأثروا بأئمتهم لأنهم اقتنعوا فأخلصوا، فحين يقارن أحمد أمين شعرهم بشعر مناوئهم يعترف ويقول: «وكان شعر الشيعة أحر وأقوى؛ لأن مبعثه الإخلاص غالباً. فليس لأئمة الشيعة ما يكافئون به كثيراً.» (نفس المصدر: ٣٠٤) فى مقابل البذل، فى عطاء الحكام والولاة المتسلطين لشعرائهم. ويا ليتته اعترف بقوة الأدلة العقلية، إلى جانب بلاغة المنطق. فذلك نجد أن مدح أهل البيت ظاهرة واضحة بين أهل العلم والعقل والشرف، اتسمت بالصدق والإخلاص لله والدين. وهذا ما أكده الشعراء أنفسهم، فالسرى الرفاء وهو شاعر معاصر لكشاجم يقول:

أَلِ النَّبِيِّ وَجَدْنَا حُبُّكُمْ سَبَبًا يَرْضَى الْإِلَهُ بِهِ عَنَا وَيُرْضِينَا
فَمَا نَخَاطِبُكُمْ إِلَّا بِسَادَتِنَا وَلَا نُنَادِيكُمْ إِلَّا مَوَالِينَا
وَمَا نُبَالِي بِذَمِّ الْأَغْيَاءِ إِذَا كَانَ اللَّيْبُ مِنَ الْأَقْوَامِ يُطْرِينَا

(السرى الرفاء، ١٩٦٦م: ٤٥٤)

فَتَقَدُّمُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْفَضْلِ أَمْرٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُهُ الشَّاعِرُ لِيُبَيِّنَ مَدَى الْغَبْنِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِمْ، وَالْجُورَ الَّذِي أَثْرَ عَلَى مَشَاعِرِ الشُّعْرَاءِ، فَجَعَلَهُمْ يَتَنَافَسُونَ فِي بَيَانِ شِدَّةِ تَأْثَرِهِمْ بِهِ. وَالصُّنُوبَرِيُّ وَهُوَ مِنْ مَعْاصِرِي وَأَصْدِقَاءِ كَشَاجِمٍ يَقُولُ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا مَنْ هُوَ الصَّفْوَةُ فِي هَاشِمٍ يَعْرِفُهَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
ذَا الشَّاعِرُ الضَّبِّيُّ يَلْقَى بِكُمْ مَا لَيْسَ يَلْقَى بِكُمْ شَاعِرُ

(الصنوبرى، ١٩٩٨م: ١٢٠)

فلذلك ظهر التشابه فى تناول شعراء أهل البيت لقضاياهم، مبنيا على حقائق مُسَلَّمٌ بها عندهم، منها التسليم بالأفضلية لأهل البيت، وعظمة الظلم الذى وقع عليهم، ثم شدة الحزن لمصائبهم، وارتباط ذلك كله بأمر الدين، ورضى الله ورسوله الأمين. فمنذ أن برز الكميت، والسيد الحميرى، ودعبل الخزاعى وبعدهم الصاحب بن عباد، وأبوفراس



الحمداني، وابن هاني الأندلسي، والشريف الرضي، ومهيار الديلمي، والصنوبري، وغيرهم، وحتى كشاجم، نجدهم ينهجون طرفاً متماثلة في بث الأفكار والأدلة عليها، ثم التعبير عن الحزن والألم، وإن اختلفوا في مقدار تناولهم وصراحتهم في الإشارة إلى ما حصل من تجاوزات، حسب ما تسمح به أوضاعهم الاجتماعية والسياسية. لذلك نجد ابن شهر آشوب يقسمهم إلى: مجاهرين، ومقتصدين، ومتقين، ومتكلفين. (ابن شهر آشوب، ١٩٦٦م: ١٦٢-١٧٠) وكان كشاجم من المجاهرين، لأنه ممن صرح بانتقاد من تعدى على حق أهل الولاية، ووقف ضد حركة النواصب، وفند ادعاءاتهم وافترائاتهم، ودافع عن العترة الطاهرة، أمثال: السيد الحميري، والصاحب ابن عباد، ومهيار، وغيرهم.

الحزن لمصائب أهل البيت عليهم السلام: لقد عانى الأئمة الأطهار، وأهل بيت الرسول الأكرم، ألوان المتاعب والمصاعب بل المصائب والفواجع الكثيرة، وذلك للعداء الذي نصبوه لهم آل أمية بالخصوص، وغيرهم ممن جحدوا الحق وأنكروه. فالتاريخ الإسلامي يشهد بما حصل من تجاوز على حق الإمام على (عليه السلام)، والتبريرات التي أطلقت بهذه الحجة أو تلك. إلا أن الحقيقة لا تقبل الخفاء. فما تعرض له آل النبي (ص)، أثار الحزن والألم. ولم يجد الشعراء الموالون إلا أن يبثوا أحزانهم في قصائدهم، بإحساس صادق، لما شعروا به من ظلم، وقع على من أذهب الله عنهم الرجس، وفضلهم وأوصى بهم. فالشاعر كشاجم يبرز في نطقه، مفردة (بكاء) وهو تعبير عن عمق الحزن، وإن كان البكاء قليل الجدوى والفائدة والغناء، لأن المصاب كبير، فهو مصاب ذرية الأنبياء، وما أعظمه من رزء، يسترخص الدموع الغالية. فلا بد أن يكون هذا العزاء عظيماً. وبهذا الحزن المعبر، يرثي كشاجم أهل البيت في مصائبهم، ويصرح بلوعته فيقول:

بُكَاءٌ وَقَلَّ غِنَاءُ الْبُكَاءِ عَلَى رُزْءٍ ذُرِّيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ
لَيْنٌ ذَلَّ فِيهِ عَزِيْزُ الدَّمُوعِ لَقَدْ عَزَّ فِيهِ ذَلِيلُ الْعِزَاءِ

(الديوان: ١٥)

ويقول في موضع آخر:

أَجَلٌ، هُوَ الرُّزْءُ جَلَّ فَادِحُهُ بِأَكْرَهُ فَاجِعٍ وَرَائِحُهُ



أهل البيت عليهم السلام في شعر...

لا رَيْعُ دارِ عَفا ولا طَلَلٌ أوَحَشَ لما نأتُ مَلا فِحُهُ
فجائِعُ لو دَرى الجَينِ بِها لَعادَ مَبِيضَةً مَسالِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٠)

وهنا يؤكد الشاعر على عظمة الفاجعة، فهي قاسية بليها ونهارها، أكثر وحشة من أي مكان آخر، بقي أثراً بعد أن هُجر، لقد شهدت هذه الموقعة في كربلاء ما يشيب الجنين، من شدة المصيبة:

وتُردى الحسينَ سيوفُ الطُغا ةِ ظَمآنَ لَمْ يُطْفِ حَرَ العُللِ
ثوى عَطِشاً وتَنالُ الرما حُ من دَمِهِ عَلَها والتَهَلِّ

[العل: الشرب تباعا. النهل: الشرب جرعة واحدة]

ولم يَخسِفِ اللهُ بالظالمينَ ولكنَّهُ لا يَخافُ العَجَلُ
لقد نَسَطَتْ لِعنادِ الرسولِ رجالٌ بِها عن هُداها كَسَلُ
فلا بوعدتُ أَعينُ من عَميِّ ولا عُوفيتُ أذرعُ من سَلَلِ
نَظارِ بانَّ بَناتِ النَبِ سى السَّبايا ومالِ النَبِيِّ النَّفَلِ

[نظار: اسم فعل أمر بمعنى انظر. النفل: الهبة والزيادة]

(المصدر نفسه: ٢٧٣)

فما أشد أن يقع مالُ النبي الذي كان لبناته في كربلاء، هبةً وسلباً لغيرهن، بعد أن أزدوا الحسين عطشاناً مضمخاً بالدماء، وأى صريع هذا غير حبيب النبي الذي تروى الروايات عن حب الرسول الأكرم له. «فعن حذيفة قال رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد الحسين بن علي فقال: أيها الناس، جد الحسين أكرم على الله من جد يوسف بن يعقوب. وإن الحسين في الجنة، وأباه في الجنة، وأمه في الجنة، وأخاه في الجنة، ومحبهم في الجنة، ومحبهم في الجنة.» (ابن مردويه، ١٤٢٤ق: ٧٣) والشاعر يصوّر البلاء العظيم الذي وقع بأهل البيت في كربلاء، حين سبى عيال النبي الأكرم، بدفع من الشيطان الذي خوّل لأنفسهم الوقعة بأهل البيت، بعد أن ركب هؤلاء الجناة الخطايا، وساروا بأمره إبليس:

مَطَايَا الخَطَا يَا خِدِي فِي الظلامِ فما هَمَّ إبليسَ غيرُ الحِداءِ
لقد هتكتَ حُرْمَ المُصطَفَى وحلَّ بهنَّ عظيمُ البلاءِ
وساقوا رجالَهُم كالعبيدِ وحاذوا نساءَهُم كالإماءِ

[حاذوا: ساقوا]

(المصدر نفسه: ١٦)

وأى مصيبة أشدُّ أماً على الرسول الأكرم من أن يساق أبناؤه وبناته أسارى مقيدين، وقد هتكت أستار حرم بيت النبي، الذي يفترض الشاعر أنه لو كان موجوداً وشاهداً معهم هذا السبي، لتبعمهم في المشى، باكياً متألماً، وهو تصوير يثير الحزن والأسى، عند كل مسلم مؤمن لما لقيه الرسول الأكرم من لوعة وألم في عياله وأهل بيته:

فلو كان جدُّهم شاهداً لتبعمَ أظعانَهُم بالبكاءِ

(المصدر نفسه: ١٧)

إنه يصور حزن خاتم الأنبياء حبيب الله، وهو يتتبع مسير ظعن السبايا، باكياً حزيناً، لا يقوى على النظر إلى بناته بتلك الحالة المؤلمة، فلا يدنو منهن لتألمه من حالتهم المفجعة، فهو متعلق بعياله يتابعهم أينما ذهبوا، في كل حركة أو توقف، فقد جاءت مفردة (لتبعم) لتوحى بالمواصلة في الملاحظة والرفقة وعدم الابتعاد، وهذا ما يبين عمق الصلة والتعلق بالعيال والتأثر الشديد لحالهم. ثم يصور الشاعر ما حصل في كربلاء من قتل وزهق للأرواح وتطاير الرؤوس:

غداة خميسٍ امامِ الهدى وقد عاثَ فيهم هزبرُ اللقاءِ
وكم أنفَسٍ في سعيهِ هوتَ وهامَ مُطَيِّرةً في الهواءِ
بضربٍ كما انقَدَّ جيبُ القميصِ وطعنٍ كما انحَلَّ عَقْدُ السقاءِ

(المصدر نفسه: ١٧)

فقد مُزقت الثياب بضرب السيوف، وقطعت أربطة قِرب السقاء، وكل ذلك في هذا المعركة التي أشعلها أعداء الحق، ظلما وعدوانا على بيت النبوة، فزهقت الأرواح لبقى بنوامية متسلطين على رقاب الناس. ويشير إلى كثرة مصائب أهل البيت (عليهم السلام).



فبين كثرة ما تحمله آل الرسول، فقد اجتاحتهم المصائب التى أن فكّرتَ فيها، فإنها تشعل الهموم:

يَا بُوْسَ دِهْرِ عَلَى آلِ رَسُولِ اللَّهِ
تَجْتَا حُهُمْ جَوَائِحُهُ

[جائحة: مصيبة]

إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي مَصَائِبِهِمْ
أَثَقَبَ زَنْدُ الِهِمُومِ قَادِحُهُ
بَعْضُهُمْ قُرِبَتْ مَصَارِعُهُ
وَبَعْضُهُمْ بُوَعِدَتْ مَطَارِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٠)

إنه يذكر مصائب أهل البيت، وكيف أنهم لاقوا مصارعهم، سواء كانت قريبة أو بعيدة، ثم يُعرج على المصيبة العظمى فى كربلاء:

أَظْلَمَ فِي كَرْبَلَاءَ يَوْمُهُمْ
ثُمَّ تَجَلَّى وَهُمْ ذَبَائِحُهُ
ذُلُّ حِمَاهُ وَقَلَّ نَاصِرُهُ
وَنَالَ أَقْصَى مُنَاهُ كَاشِحُهُ
وَسِيقَ نَسْوَانَهُ طَلَائِحَ
أَحْسَنَ أَنْ تَهَادَى بِهِمْ طَلَائِحُهُ

[الطليح: الضعيف المهزول]

وَهُنَّ يُمْنَعْنَ بِالْوَعِيدِ مِنَ النَّدَى
وَحِ وَالْمَلَأُ الْأَعْلَى نَوَائِحُهُ
عَادَ الْأَسَى جَدَّهُ وَوَالِدَهُ
حِينَ اسْتِغَاثَتْهُمَا صَوَائِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٠)

إن تصوير ما جرى فى كربلاء من ذبح، وفقدان الناصر، وسوق النساء أسيرات متعبات، ممنوعات من النوح، هذا المنظر أّحزن أهل السماء، فجعلهم ينوحون على الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وأعاد الأسى والحزن إلى جده الرسول الأكرم وأبيه (على بن أبى طالب) بعد أن علت استغاثة بنات الرسالة بهما. إنهم يستغيثون بجدهم محمد، وليس هو إلا رسول الله. فقد نقل الشاعر مظاهر المعاناة وأثرها على الرسول الأكرم وأهل بيته، مما يثير الحزن فى المتلقى، ويجعله يشعر بعظم ما حدث فى كربلاء. المقابلة بين الحق والباطل: عكف الشاعر فى أكثر أبياته حول أهل البيت (عليهم السلام) وحقوقهم المهذورة، على تصوير التقابل بينهم وبين أعدائهم، حتى يضع المتلقى



أمام صورتين، ليقارن بينهما، ويختار ما يجب أن ينحاز إليه. وهو هدف الشاعر من عرضه لمصائب أهل البيت. فهو مدافع بالدليل العقلي عنهم. والعقل لا يُضيعُ الحق، إذا تجرّد عن هوى النفس في أطماعها الدنيوية. فالشاعر يبين الحقد الذي في قلوب أعداء الحسين، فهم بحقدهم يسوقون الموت تحت اللواء، في حين أن الله ينصر الحق فوق اللواء. وهذه الصورة تستجلب أن يد الله فوق أيديهم، وأن الله أعلى وأعزّ من جبروتهم وتسلطهم. وهو تصوير بليغ يثير الاندفاع إلى الطرف الذي أصبح الله معه، فهو عالٍ بعزته وشموخه، لأنه مثل الحق، والله مع الحق، كما أن أهل البيت معه. فهو يثير حقيقة ثابتة، وهي أن الحاقد لا ينفع معه الإرشاد والنصح والتنبيه، فالحاقد يعيش بقلب مُتفَرِّح، ومن الصعب مداواته وإصلاحه، ما دام الحقد ثابت في قلبه من أحداث بدرٍ وحُنين، كما هو الحال لبني أمية.

حقودٌ تضرّمَ بدريّةً وداءُ الحقودِ عزيزُ الدواءِ
تراه مع الموتِ تحت اللواءِ ءِ واللهُ والنصرُ فوقَ اللواءِ

(المصدر نفسه: ١٧)

ويبين التفاوت بين الطرفين (على وأعدائه) فيشير إلى أنه أعلى قدراً من أفضلهم، بل إن الفرق شاسع بينهما، فأين الثرى من الثريا؟ وأين السماء من الحضيض والقاع؟ فهو يتحدث عن على فيقول:

وكان إذا ما أضافوا إليـ هـ أرفعهم رتبةً في المثلِ
سماءٍ أضيفَ إليها الحضيضُ وبحراً قرنتَ إليه الوشلُ
بجودٍ تعلّم منه السحابُ وحلمٍ تولد منه الجبلُ
وكم شبهةً بهُداه جلا وكم خطةً بحجاه فصلُ
وكم أطفأ الله نارَ الضلالِ به وهي ترمى الهدى بالشعلُ

(المصدر نفسه: ٢٧٢)

وتتبع الشاعر جنایات أعداء أهل البيت، وما اقترفوه من أفعال عدائية لآل النبي، منذ الأيام الأولى لظهور الإسلام والدعوة إليه. فالشاعر يبحث جادا عن كل ما يدعم موقف



العترة الطاهرة. فهو يتعمق فى فهمه لأحداث التاريخ، ويستنتج منها العبر، مما يؤكد صدقه فى توجهاته الفكرية، وابتعاده عن الرباء أو المجاملة والمحاباة. ومن المستبعد أن يكون متظاهرا برأيه هذا، لأن طبيعة الأدلة التى أوردها نابعة من تفكير ذاتى يصعب أن تظهر على لسانه دون إيمان بها. فالمرائى لا بد أن يظهر على فلتات لسانه ما يكشف ذاته، فى حين يتأكد صدق الشاعر فى عقيدته من ثباته عليها، وعدم ترشح ما يخالفها. فيقول:

وإن وتَرَ القومَ فى بَدْرِهِمْ لَقَدْ نَقَضَ القومُ فى كَرْبِلاءِ
ولم يَنْشُرِ القومُ غِلَّ الصُّدُو رِحْتَى طَوَاهِ الرِّدَى فى رِداءِ
وَلَوْ سَلَّمُوا لِإِمَامِ الهُدَى لَقُوْبِلَ مُعَوِّجُهُمْ بِاسْتِواءِ

(المصدر نفسه: ١٦)

وتستمر هذه المقابلة بين مواقف الطرفين، وكيف أن وصايا رسول الله فى آل بيته، قد تركت، ولم يعمل بها. وهذا ما يبين الفرق بين الادعاء بطاعة الرسول والعمل بمخالفة أقواله:

لَعَمْرِي لَقَدْ ضَلَّ رَأْيُ الهَوَى بأفتدةٍ من هواها هَوائى
وأوصى النبىُّ ولكنَّ غَدَّتْ وصاياهُ مُنْبَدَّةً فى العراءِ
ومن قَبْلِهَا أَمَرَ المَيِّتُونَ بِرَدِّ الأُمُورِ إلى الأَوْصِياءِ

(المصدر نفسه: ١٥)

فقد كان الرسول قد أوصى بمحبة أهل البيت فلم يعمل بوصيته. كما لم يعمل بوصيته بالولاية للإمام على، ولم ترد الأمور إليه. ويبين كشاحم فى مقايسة أخرى كيف أن أعداء أهل البيت قد غشوا الله بأذيتهم للإمام الحسين (عليه السلام)، الذى أسدى لهم النصح، وأفادهم به، كما يشير إلى احتفاء جبريل عليه السلام بالحسين الوليد وهو فى المهدي، مقابل تعفير جبينه المقدس بالتراب فى كربلاء، فيقول:

عَشَسْتُمْ اللهَ فى أذِيَّةِ مَنْ إليكمُ أَدِيَّتْ نَصائِحُهُ
عَفَرْتُمْ بالترى جَبِينِ فتىَّ جبريلُ قَبْلَ النَّبِيِّ ماسِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧١)

وقد أورد السيد محسن الأمين مقابلة الشاعر بين يوم الغدير ويوم الجمل، إلا أن هذا البيت لم يرد في ديوانه (موضع المراجعة). ويحتمل أن يكون مقتطعاً من الديوان. وفيه يقول:

وقد عَلِمُوا أَنَّ يَوْمَ الْغَدِيرِ بَعَدَرَتِهِمْ جَرَّ يَوْمَ الْجَمَلِ

(الأمين، لاتا، ج ١٠: ١٠٤)

فالشاعر كشاجم يجد في الفريقين تفاوتاً بيّناً، فقد ألح أعداء أهل البيت في العناد، بمنع الإمام على ما منحه الله. فشتان بين سرعتهم في أذيته وبين تصبره معهم:

ما صَفَحَ الْقَوْمُ عِنْدَمَا قَدَرُوا لَمَّا جَنَّتْ فِيهِمْ صَفَائِحُهُ
بَلْ مَنَحُوهُ الْعِنَادَ وَاجْتَهَدُوا أَنْ يَمْنَعُوهُ وَاللَّهُ مَانِحُهُ
كَانُوا خَفَافاً إِلَى أَذِيَّتِهِ وَهُوَ ثَقِيلُ الْوَقَارِ رَاجِحُهُ

(الديوان: ٧٢ - ٧٣)

وكما يبدو من المفردات المتضادة في الأبيات، اختلاف الصورتين وتعارضهما، بين (ما صفح، وصفائحه) و(منحوه، ويمنعه) و(خفافاً، وثقيل). فالشاعر يميل إلى المقابلة والطباق والإكثار منه، للتعبير عن اختلاف السلوك والمنحى، بين أهل البيت ومناويئهم. وبذلك فقد كان شعر كشاجم نداء إلى المتلقى لكي يميز بين الجانبين، بعد أن بيّن التفاوت بينهما. فالقضية لاتتوقف عند الحكم والولاية، بقدر ما تكشف التباين الشاسع بين الطرفين، في الفكر والسلوك، فضلا عن المكانة والمنزلة عند الله والناس.

جزاء يوم القيامة وطلب الشفاعة: الشاعر في حبه لأهل البيت (عليهم السلام) إنما يحتسبه عند الله، ولأجل رضاه، ولايطمع في عطاء أو منحة، فهو النابع من قناعة بحق، وتكليف شرعي، إرادة الله عز وجل من المسلمين، ووصى به لرسوله الأمين. فالمسلم ملزمٌ بطاعة خالقه، والسير على هدى رسالته، التي أرادت للإنسان الهداية والفلاح، والجزاء الحسن، إن هو أطاع واستجاب لما أمره الله به. والشاعر لا يغفل أن يشير إلى هذا الأمر المهم:



أهل البيت عليهم السلام فى شعر...

وفى غدٍ يَعْرِفُ الْمُخَالَفَ مَنْ
وبين أيدِيكُمْ حَرِيقُ لَظِيٍّ
خَاسِرٌ دِينٍ مِنْكُمْ وَرَابِحُهُ
يَلْفُحُ تِلْكَ الْوَجُوهَ لِأَفْحُهُ
إِنْ عَبْتُمُوهُمْ بِجَهْلِكُمْ سَفْهًا
مَا ضَرَّ بَدْرَ السَّمَاءِ نَائِحُهُ

(المصدر نفسه: ٧٢)

ويقول فى بيان جزاء جاحدى حق أهل البيت (عليهم السلام):

غداً يتولى الإله الجداً
فيعلم مَنْ فى ظلال النعيمِ
لِإِنْ كُنْتُمْ مِنْ رِجَالِ الْجَدَلِ
وَمَنْ فى الْجَحِيمِ عَلَيْهِ ظُلْمٌ

(المصدر نفسه: ٢٧٣)

فهو يتقين أن جزاءه مقابل هذا الحب الصادق لأهل البيت (عليهم السلام)، سيكون شفاعتهم له عند الله حتى يغفر ذنوبه فمفردة أيقنت تبين عمق الإيمان والاعتقاد وهو ما يشير إلى قوة الرابطة بأهل البيت:

وَأَيَقَنْتُ أَنْ ذُنُوبِي بِهِ
فَصَلَّى عَلَيْكُمْ إِلَهَ الْوَرَى
تَسَاقَطَ عَنِّي سَقُوطُ الْهَبَاءِ
صَلَاةً تُوَازِي نِجْمَ السَّمَاءِ

(المصدر نفسه: ١٧)

فالشاعر يطمح فى طلب الشفاعة فأمله بالله لا ينقطع، لأن ذنوبه بسبب حبه لأهل البيت (عليهم السلام) سوف تُغْتَفَر. والله هو الأمل والرجاء، إذا قَصَرَ فى العمل فيقول:

أَيَا رَبِّ وَفَّقْ لْخَيْرِ الْمَقَالِ
وَلَا تَقْطَعَنَّ أَمَلِي وَالرَّجَاءَ
لِإِنْ لَمْ أَوْفَّقْ لْخَيْرِ الْعَمَلِ
فَأَنْتَ الرَّجَاءُ وَأَنْتَ الْأَمَلُ

(المصدر نفسه: ٢٧٣)

لقد جاهد الشاعر فى إبلاغ نظرتة إلى الصراع بين أهل البيت وأعدائهم، وبين اختلاف منحى كل منهما، ليسجل وبقوة تأييده لمسلك الالتزام بالحق، دون تردد أو تخوف أو تراجع، لم يتأثر بما نضح من تصرفات جده السندى مع الإمام الكاظم عليه السلام، والأثر النفسى المترتب عليه، بل انطلق وبكل وضوح، مستمسكا بما أملاه عليه عقله ودينه التمسك به. وهذا ما يشهد له بقوة فكره، وسلامة سريرته، وإخلاصه فى طلب



الصواب، والسعى للتوصل إليه، وقد وفقه الله في ذلك، والله يهdy إلى سبيل الرشاد.

النتيجة

من خلال البحث في حياة الشاعر كشاجم وتراثه الشعري، خاصة حول أهل بيت النبوة عليهم السلام، نستنتج ما يلي:

١. ترجيح أن يكون أصل الشاعر فارسياً استناداً إلى ما قاله هو في شعره، وذلك مقابل عدم وجود دليل معتمد على كونه هندي الأصل، كما قيل.

٢. اعتقاد الشاعر بحق أهل البيت عليهم السلام. واستدلّاه العقلي والشرعي على أفضليتهم في استحقاقهم للولاية، وتميزهم عن مناوئهم بالميزات الفريدة.

٣. حب الشاعر لأهل البيت عليهم السلام وتأثره وحزنه لمصائبهم، خاصة في كربلاء المقدسة، وما حصل للحسين الشهيد وعياله.

٤. مقابلة كشاجم بين صورة الحق وصورة الباطل، في تعبيره الشعري عن موقف أهل البيت، مقابل أعدائهم والاستفادة من هذا الأسلوب الفني في الدعوة إلى الحق.

٥. تركيز الشاعر على إظهار الولاء لأهل البيت عليهم السلام في قصائد معينة، يبين فيها اتجاهاته العقائدية والسياسية، وتوجيه أكثر ما بقي من شعره إلى الوصف والإخوانيات.

٦. توسم عزة النفس وحرية التفكير عند الشاعر، من خلال اتخاذه المواقف المختلفة عما عُرف عن جده السندي بن شاهك، تجاه الإمام الكاظم (عليه السلام).

المصادر والمراجع

ابن خلكان. ١٩٧١م. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة.
ابن شرف القيرواني، محمد ابن سعيد. ١٩٢٦م. *إعلام الكلام*. تحقيق عبد العزيز أمين. بغداد: مطبعة النهضة.

ابن شهر آشوب، محمد علي. ١٩٦١م. *معالم العلماء*. النجف: المطبعة الحيدرية.
ابن العماد الحنبلي، أحمد بن علي. ١٤٠٦ق. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تحقيق عبد القادر



أهل البيت عليهم السلام فى شعر...

ومحمد الأناؤوط. دمشق: دار ابن كثير.

ابن مردويه، أحمد بن موسى. ١٤٢٤ق. مناقب على بن ابي طالب. تحقيق عبد الرزاق محمد حسين. قم: دار الحديث.

ابن مكى الصقلى. ١٩٦٦م. تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. تحقيق عبد العزيز مطر. القاهرة: لجنة إحياء التراث.

ابن النديم، محمد بن إسحاق. ١٩٧١م. الفهرست. تحقيق رضا تجدد. طهران: لانا. آغا بزرك الطهرانى. لانا. طبقات أعلام الشيعة. القرن الرابع. قم: مؤسسة إسماعيليان. أمين، أحمد. لانا. ضحى الإسلام. ج ٣. الطبعة السابعة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. الأمين، محسن. ١٩٨٣م. أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك. ١٩٨٣م. يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر. تحقيق مفيد محمد قمحية. بيروت: دار الكتب العلمية.

----- ٢٠٠٦م. الإعجاز والإيجاز. تحقيق محمد زينهم. القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

حاجى خليفة، مصطفى بن عبد الله. لانا. كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

حسن زاده آملی، حسن. ١٤٢٨ق. اضبط المقال فى ضبط أسماء الرجال. تحقيق محمد كاظم المدرسى. قم: مركز العلوم والثقافة الاسلامية.

الحموى، ياقوت بن عبد الله. لانا. معجم الأدياء. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطيب البغدادي، أحمد بن على. ١٩٩٧م. تاريخ بغداد. تحقيق مصطفى عبد القادر. بيروت: دار الكتب العلمية.

الدمشقى، يوسف البان سركيس. ١٩٢٨م. معجم المطبوعات العربية والمعربة. مصر: عالم الكتب.

الذهبي، محمد بن أحمد. ٢٠٠٤م. سير أعلام النبلاء. بيروت: بيت الأفكار الدولية.

----- لانا. العبر فى خبر من غير. تحقيق محمد بن بسيونى. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزبيدى، محمد بن مرتضى. ١٣٠٦ق. تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار مكتبة الحياة.

الزركلى، خير الدين. ١٩٨٠م. الأعلام. الطبعة الخامسة. بيروت: دار العلم للملايين.

السرى الرفاء. ١٩٩٦م. الديوان. تحقيق كرم البستانى. الطبعة الأولى. بيروت: دار صادر.

السيوطى، عبد الرحمن بن ابي بكر. ٢٠٠٧م. حسن المحاضرة فى مصر والقاهرة. تحقيق على محمد عمر. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الخانجى.



- الشابشتي، على بن محمد. ١٩٦٦م. *الديارات*. تحقيق كوكيس عواد. الطبعة الثانية. القاهرة: مطبعة المعارف.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك. لاتا. *تصحیح التصحيف وتحرير التحريف*. نسخة مصورة. الموسوعة الشعرية.
- السنوبري. ١٩٩٨م. *الديوان*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.
- العطية، نبيل. ١٩٩٠م. *مقدمة كتاب (أدب النديم) لكشاجم*. بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- العسكري، نجم الدين الشريف. ١٤١٣ق. *مقام الإمام علي*. الطبعة الرابعة. النجف: الآداب.
- الفرطوسي، عبد المنعم. ١٩٨٧م. *ملحمة أهل البيت (ع)*. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة أهل البيت (ع). كحاله، عمر رضا. لاتا. *معجم المؤلفين*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- كشاجم، محمود بن الحسين. ١٩٩٧م. *ديوان كشاجم*. شرح مجيد طراد. بيروت: دار صادر.
- مركز الغدير للدراسات. ٢٠٠١م. *شعراء الغدير (كشاجم)*. الطبعة الأولى. بيروت: لانا.
- النجاشي، أحمد بن محمد. ١٤٢٧ق. *رجال النجاشي*. تحقيق موسى الزنجاني. الطبعة الثامنة. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب. ٢٠٠٤م. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. تحقيق مفيد قمحية وآخرين. بيروت: دار الكتب.

